ما هو علم البلاغة

لمؤلفه

سماحة السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني
رئيس محكمة التمييز الجعفرية في العراق
وصاحب المؤلفات الممتعة

obeikandl.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب على نبيه المصطفى ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وآله الغر الميامين وصحبه الهادين المهتدين

وبعد فلم يشتهر كتاب بعد الكتاب مثل كتاب نهج البلاغة لسيد البلغاء وأمير الحكماء أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اخي الرسول وزوج الزهراء البتول لذلك كثر المفترون عليه ، والطاعنون به ، والناسبوه لغير صاحبه ، فتصدى العلامة صاحب هذا الكتاب لدفع هذه المزعمة المغلوطة بالدليل والبرهان ، ونشرها فصولا في مجلة العرفان الصيداوية جمعت كتابا على حدة ليعم نفعها ويحسن وقعها والله الهادي إلى سواء السبيل

(إدارة العرفان)

obeikandl.com

السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني
رئيس محكمة التمييز الجعفرية في العراق
وواضع هذا الكتاب

نهج البلاغة كتاب عربي اشتهر في مملكة الأدب الأممي اشتهار الشمس في الظهيرة : وهو صدف لآلٍ من الحكم النفيسة ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاما و٧٨ كتابا ورسالة و٤٩٨ كلمة من يواقيت الحكمة وجوامع الكلم لإمام الكل في الكل امير المؤمنين علي (ع) وذلك المختار من لفظه الحر وكلماته الغر وما جادت به يراعته الدفاقة من لؤلؤ رطب ودرّ نضيد كما شهد به الصحافي الشهير (امين نخله) من افاضل المسيحيين مخاطبا من رجاه انتخاب [المئة] من كلمات الإمام عليه السلام اذ قال :

(سألتني ان انتقي مئة كلمة من كلمات ابلغ العرب — ابي الحسن — تخرّجها في كتاب وليس بين يديّ الآن من كتب الأدب التي يرجع اليها في مثل هذا الغرض الاّ طائفة قليلة منها انجيل البلاغة (النهج) فرحت اسرح اصبعي فيه ووالله لا اعرف كيف اصطفي لك المئة من مئات بل الكلمة من كلمات الاّ اذا سلخت الياقوتة عن اختها الياقوتة ولقد فعلت ويدي تتقلب على اليواقيت وعيني تغوص في اللمعان فما حسبتني اخرج من معدن البلاغة بكلمة لفرط ماتحيرت في التخير فخذ هذه (المئة) وتذكر انها لمحات من نور وزهرات من نور ففي نهج البلاغة من نعم الله على العربية واهلها اكثر بكثير من مئة كلمة) الخ :

يصف هذا الكاتب وغيره كلم الامام (ع) بالدر والياقوت والجوهر وانى لهذه الاحجار الغالية مزايا الحكمة العالية ومن اين لها ان تهدي الحيارى في سبل الحياة ومسالكها الشائكة ومن اين لها الوساطة بين الجهل والعلم وربط الانسان بعالم اللاهوت أو ان تكشف للبصائر اسرار الملكوت عدا ما لهذه الكلم من اطراب القلوب فإنّ لسامعي هذه الخطب والكلم اهتزاز وجد وتمايل طرب

محسوسين وذانك برهانان لتفوق الغناء الروحي على نغمات قيثارة مادية بلى ان النغمات الموسيقية واغانيها تتلاشى وتبيد بمرور الزمن ورنة النغم من كلام الإمام خالدة الأثر عميقة التأثير ومن شاء ان يعرف ان الحروف كيف تطرب، وان الكلمة كيف تجذب، وان الكلام كيف يكهرب، فليقرأ نهج البلاغة وهذه الجمل امثولة منه اذ يقول في وصف الجنة بعد وصف الطاووس وعجيب خلقته :

(فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لقرفت نفسك من بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها تجنى من غير تكلف فتأتي على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في أفنية من قصورها بالاعسال المصفقة والخمور المروقة) الخ

ولقد حاورني ببغداد سنة ١٣٢٨ هـ رئيس كتاب القنصلية البريطانية (نرسيسيان) من فضلاء الأرمن زاعما تفوق نهج البلاغة على كل كلام عربي لكثرة ما فيه من السهل الممتنع الذي لا يوجد في سواه وانقياد الأسجاع الصعاب فيه بلا تكلف واستشهد بقوله عليه السلام :

(أم هذا الإنسان الذي خلق في ظلمات الأرحام وسجف الأستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا فجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه الله سبحانه بصرا لاحظا ولسانا لافظا وقلبا حافظا) الخ

معجبا بحسن التسجيع وكيف يجري الروي كالماء السلسال على لسان الإمام (ع) « ثم قال » ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا لرأيتم مسجدها على سعته يتموج بقبعات الافرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر :

ولقد احسن الوصف استاذ الفن (حسن نائل المرصفي) مدرس البيان بكلية الفرير الكبرى بمصر في مقدمة الشرح على نهج البلاغة فجمع بايجاز اطراف البيان حول عبقرية الإمام وذكر مزاياه العالية وشرح ماهية كلامه في نهج البلاغة ملخصا فيما يأتي قال :

(بهذه الخصال الثلاث - يعني جمال الحضارة الجديدة وجلال البداوة القديمة وبشاشة القرآن الكريم — امتاز الخلفاء الراشدون ولقد كان المجلي في هذه الحلبة علي صلوات الله عليه وما احسبني احتاج في اثبات هذا الى دليل اكثر من نهج البلاغة ذلك الكتاب الذي اقامه الله حجة واضحة على ان علياً رضي الله عنه قد كان احسن مثال حي لنور القرآن وحكمته وعلمه وهدايته واعجازه وفصاحته اجتمع لعلي (ع) في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وافذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية وقواعد السياسة المستقيمة ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر خاض علي في هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزاً ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد ان عرفت مكانه من العلم فليس في وسع الكاتب المسترسل والخطيب المصقع والشاعر المفلق ان يبلغ الغاية في وصفه والنهاية من تقريظه وحسبنا ان نقول انه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلاً تطمئن فيه وتأوي اليه بعد ان زلت بها المنازل في كل لغة) الخ :

وكم مثل هذا في الواصفين لنهج البلاغة من حكموا بتفوقه على كتب الانشاء ومنشآت البلغاء واعترفوا ببلوغه حدّ الاعجاز وانه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق المتعال واعجبوا به اقصى الاعجاب وشهدت السنتهم بدهشة عقولهم من عظمة اضاء سنا برقها من ثنايا الخطب ومزايا الجمل وليس اعجاب الادباء بانسجام لفظه وحده ولا دهشة العلماء من تفوق معانيه البليغة حد الاعجاز فقط

واذا الاعجاب كله والدهشة كلها في تنوع المناحي في هـذه الخطب والكلم واختلاف المرامي والاغراض فيها فمن وعظ ونصح وزهد وزجر الى تنبيه حربي واستنهاض للجهاد الى تعليم فني ودروس ضافية في هيئة الافلاك وابواب النجوم واسرار من طبايع كائنات الأرض وكامنات السماء الى فلسفة الكون وخالقه وتفنن في المعارف الإلهية وترسل في التوحيد وصفة المبدء والمعاد الى توسع في اصول الإدارة وسياسة المدن والأمم الى تثقيف النفوس بالفضايل وقواعد الاجتماع وآداب المعاشرة ومكارم الأخلاق الى وصف شعري لظواهر الحياة وغير ذلك من شتى المناحي المتجلية في نهج البلاغة بأرقى المظاهر والإمام نراه الإمام في كل ضرب من ضروب الاتجاه وعبقرية الإمام ظاهرة التفوق على الجميع بينما نرى افذاذ الرجال يجدون في اوجه الكمال فلا يبلغونه الا من الوجه الواحد..

وقد وصف العلامة مفتي الديار المصرية ومصلحها الشيخ محمد بن عبده في مقدمة شرحه اعجابه باختلاف المناحي العالية لنهج البلاغة بعد تدبر وتصفح للكتاب فقال :

(يخيل لي ان حروبا شبت وغارات شنّت وانّ للبلاغة دولة وللفصاحة صوله وانّ للاوهام عرامة وللريب دعارة وانّ جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج والقويم الأملج وتقتاج المهج برواضع الحجج فتفل دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس فما انا الا والحق منتصر والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود وان مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع احس بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة كنت احدني في عالم يعمره من المعاني ارواح عالية في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحي اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال الى

جواد الفضل والكمال وطوراً كانت تنكشف الي الجمل عن وجوه باسرة وانياب كاشرة وارواح في اشباح النمور ومخالب النسور قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها واخذت الخواطر دون مرماها واغتالت فاسد الاهواء وباطل الآراء

واحياناً كنت اشهد ان عقلاً نورانياً لايشبه خلقا جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الانساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به الى الملكوت الأعلى وغابه الى مشهد النور الأجلى وسكن به الى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس وآنات كأني اسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة واولياء امر الأمة يعرّفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم الى دقائق السياسة ويهديهم طرق الكياسة ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير ويشرف بهم على حسن المصير ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم — نهج البلاغة — ولا اعلم اسما اليق بالدلالة على مسماه منه . وليس في وسعي ان اصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ولا ان آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما اتى به صاحب الاختيار كما ستراه في مقدمة الكتاب ولولا ان غرائز الجبلة وقواضي الذمة تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه وشكر المحسن على احسانه لما احتجنا الى التنبيه على ما اودع نهج البلاغة من فنون الفصاحة وما خص به من وجوه البلاغة خصوصا وهو لم يترك غرضاً من اغراض الكلام الا اصابه ولم يدع للفكر ممراً الأ جابه) الخ :

— اقول — فكم يعود الأسف بليغا اذا نبذنا مثل هذا الكتاب وراءنا ظهريا وحرمنا النشوء من فنون بيانه وتركناه صفر الكف من شذور عقيانه عكس مالو تثقف بدراسته دراسة تفقه واستحضار وتدبير واستظهار فتدخر بهذا ومثله

لأفلاذ اكبادنا كنزاً من الحكمة او جنةً باقيةً وجُنة واقية تقيهم في مزالق الانشاء وتلكهم مقاليد البلاغة في البيان والبيان من اهم عوامل الحياة ولم لا نصغي لنداء مرشدنا الروحي الذي يخاطبنا من صميم ضميره الحر بداعية الهداية وما هو — لو انصفناه — الا استاذ الكل في الكل يلقن العالم نتائج المعارف العالية ويلقي دروسه على صفوف من اقصى الشرق الى اقصى الغرب بلهجة من لغة الضاد رقت وراقت فلا يوجد اجمل منها حسناً وبهاء :

مؤلف نهج البلاغة وغرضه الشريف

[٣] اما كتاب نهج البلاغة المنوه عنه المنتشر في دواوين الادباء واندية العلماء فلا ينبغي الشك في انه تأليف الشريف الرضي محمد بن الحسين ذي الحسبين المتوفى سنة ٤٠٦ ونسبة الكتاب اليه مشهورة واسانيد شيوخنا في اجازاتهم متواترة ونسخة عصر الشريف موجودة والتي وشحت بخطه الشريف مشهورة وشروح هذا الكتاب تنوف على الخمسين[١] ونسخها منتشرة في الممالك الاسلامية مطبوعة

---

(١) اورد المحدث النوري المتوفى سنة ١٣٢٠ في خاتمة مستدركه من اسماء الشروح المذكورة لكتاب نهج البلاغة المتواتر ذكره في اجازات مشايخ الحديث ستة وعشرين شرحا (١) شرح ابي الحسن البيهقي وهو اول من شرحه (٢) شرح الامام فخر الدين الرازي الا انه لم يتممه صرح بذلك الوزير جمال الدين القفطي وزير السلطان نجاب في تاريخ الحكماء (٣) شرح القطب الراوندي المسمى بمنهاج البراعة في مجلدين (٤) شرح القاضي عبدالجبار المردد بين ثلاثة لا يعلم من اي واحد منهم الا انهم قريبون من عصر الشيخ الطوسي (٥) شرح الامام افضل الدين الحسن بن علي بن احمد الماهابادي شيخ الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست (٦) شرح ابي الحسين محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي الكيدري المسمى بالاصباح فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦ (٧) شرح آخر قبل شرح الكيدري المسمى بالمعراج (٨) شرح ابن ابي الحديد المعتزلي ومختصره للفقيه الجامع المولى سلطان محمود بن غلام علي الطبسي (٩) شرح الشيخ كمال الدين ميثم البحراني الكبير والمتوسط والصغير (١٠) شرح الشيخ كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم العتائقي الحلي من علماء المائة الثامنة وهو شرح كبير في اربع مجلدات (١١) شرح المولى الجليل جلال الدين الحسين بن الخواجه شرف الدين عبد الحق الاردبيلي (١٢) شرح العالم النبيل المولى فتح الله بن شكر الله الكاشاني الشريف بالفارسية

ومخطوطة بأقدم الخطوط ونسبة (ادوارد فانديك) في اكتفاء القنوع كتاب نهج البلاغة الى الشريف المرتضى اخي الرضي خطأ منشأه ان الشريف الرضي

سماه تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين (١٣) شرح العالم الفاضل علي بن الحسن الزوارني المفسر المعروف استاذ المولى فتح الله المذكور تلميذ السيد غياث الدين المفسر جمشيد الزوارئي (١٤) شرح العالم الكامل الحكيم الشيخ حسين بن شهاب الدين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن الجميذر العاملي الكركي المتوفى سنة ١٠٧٧ (١٥) شرح الفاضل علي بن الناصر سماه اعلام نهج البلاغة (١٦) شرح الفاضل نظام الدين الجيلاني سماه انوار الفصاحة (١٧) شرح العالم الجليل السيد ماجد البحراني ولكن في الأمل انه لم يتم (١٨) شرح السيد الجليل رضي الدين علي بن طاووس ره (١٩) شرح المولى الجليل جمال السالكين عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي المعروف بحسن الخط (٢٠) شرح عز الدين الآملي كما في الرياض (٢١) شرح السيد نعمة الله الجزائري العالم المحدث (٢٢) شرح السيد الجليل الأميرزا علاء الدين كاستانه المسمى ببهجة الحدائق مختصر (٢٣) شرح آخر له كبير يقرب من ثلاثين الف بيت الا انه ما جاوز من الخطبة الشقشقية الا نزرا يسيراً (٢٤) شرح السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني يقرب من اربعين الف بيت (٢٥) شرح آخر له عليه يقرب من ثلاثين الف بيت (٢٦) شرح الأميرزا ابراهيم الحوئي ونحن نضيف الى ماذكره شيخنا النوري مايأتي : (٢٧) شرح المفتي الشيخ محمد بن عبده (٢٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة تأليف السيد حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي في ثلاثة مجلدات كل مجلد يحتوي على ٣٠٠ صفحة بالقطع الكبير جدا وبعض المجلدات مطبوعة من اصل نسخة خط المؤلف وقد انتهى الجزء الثالث بالخطبة الـ (١١٨) مع شرحها واولها (وقد جمع الناس حوله وحضضهم على الجهاد) الخ وقد انتهى المؤلف من تأليفه سنة ١٣٠٣ (٢٩) شرح المولوي الهندي (٣٠) شرحنا الموسوم (بلاغ المنهج) واورد في فهرست الذريعة مؤلفه البحاثة الثقة محمد محسن الطهراني مايأتي (٣١) شرح ميرزا محمد باقر النواب اللاهجي المطبوع (٣٢) شرح السيد محمد التقي بن الامير مؤمن القزويني المتوفى سنة ١٢٧٠ فرغ من مجلده الاول سنة ١٢٦٨ (٣٣) شرح الشيخ جواد بن محرم علي الطاوسي المتوفى يزدجان سنة ١٣٢٥ (٣٤) شرح السيد حسن بن المطهر بن محمد بن الحسين الجرموزي البابلي المتوفى سنة ١١١٠ وهو المذكور في كتاب نسمة السحر (٣٥) شرح المولى محمد الرفيع بن فرج الجيلاني المترفي بطوس سنة ١١٦٠ (٣٦) شرح السيد ذاكر الحسين اختر الهندي الدهلوي المسمى (نيرنلت فصاحت) (٣٧) شرح المولى محمد صالح بن محمد باقر الروغني — وهو غير البرغاني وكان من ابناء المائة الحادية عشرة (٣٨) شرح لمحمد بن حبيب الدين احمد الحسني الحسيني فرغ منه سنة ٨٨١ (٣٩) شرح

كان يلقب بالمرتضى احياناً لأن جده ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى بن جعفر (ع) كما ان اخاه المرتضى كان يلقب بذلك ثم بقي هذا اللقب على هذا واقب الاول بالرضي يوم رضوا به نقيبا على نقباء العلويين ليتميز عن بقية آل المرتضى وعليه فكلاهما في مجموعة نهج البلاغة هو تأليف الشريف الرضي محمد بن الحسين بلا مراء :

اما نسبة انتحال الشريف الرضي جامع نهج البلاغة خطبة او كلمة الى سيدنا الإمام عليه السلام وتعمده الكذب عليه بأي دافع من الدوافع فشيء لا يسع اهل العلم والعرفاء بحال الرضي ان يقبلوه لأن نزاهة الشريف الرضي معلومة وعفته مشهورة(١) وزهده ثابت

موسوم (منهاج الولاية) وزع خطب النهج على ثلاثة اقسام الاول في التوحيد واصول الدين والثاني في المواعظ والعبادات والثالث في الاخلاق (٤٠) شرح مقتصر على حل الغريب من لغات نهج البلاغة قديم الكتابة لإمام الزيدية يحيى بن حمزة العلوي مصنف الطراز في علوم البلاغة المتوفى سنة ٧٤٩ (٤١) شرح مختصر جامع للجمل المفيدة من شروح النهج القديمة موجود في الخزانة الرضوية بمشهد طوس (٤٢) شرح مزجي لنهج البلاغة موجود في الخزانة الحسينية بمشهد الغري — النجف — (٤٣) شرح جهانكير خان قشقائي (٤٤) الشرح الموسوم بالنفائس لبعض علماء اهل السنة والنسخة مكتوبة سنة ٧٥٩ وهي في الخزانة الرضوية بمشهد طوس (٤٥) شرح النهج المنسوب الى العلامة التفتازاني المولى سعد الدين هبة الدين الحسيني

(١) قال ابو الحسن العمري في ترجمة الشريف الرضي (وكان له هيبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف وكان عالي الهمة شريف النفس لم يقبل من احد صلة ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة خلف واما الملوك من بني بويه فإنهم اجتهدوا على قبول صلاتهم فلم يقبل : وعن ابن الجوزي في ابراهيم بن احمد الطبري الفقيه المالكي ان الشريف الرضي كان يحفظ عليه القرآن وهو شاب فقال للشريف يوما اين مقامك فقال في دار ابي بباب محول فقال له شيخه مثلك لا يقيم بدار ابيه قد نحلتك داري بالكرخ المعروف بدار البركة فامتنع الرضي من قبولها وقال لم اقبل من أبي قط شيئا فقال ان حقي عليك اعظم من حق ابيك عليك لأني حفظتك كلام الله فقبلها وكان قدس الله روحه يلتهب ذكاء وحدة ذهن من صغره

وورعه معروف(١) وقضاياه مع الخلفاء والوزراء برهان شهامته ونزاهة ضميره وصدقه في شعوره والذي اختار الصابئي صاحباً وأخاً له في مذهب الأدب حتى كان الصابئي يصوم رمضان رعاية له والرضي رثاه بالقصيدة المشهورة ولم يتعرض لدينه يوماً ما ولا لاحت له منه لوائح التعصب الديني تساهلا في مذهبه الأدبي كيف يجرأ مجترئ عليه فيحمله على انه في تأليفه لنهج البلاغة كان مدفوعاً بدوافع العصبية : إذن فما الذي دفعه إلى تجشم التأليف ؟نعم كان الرضي في بداية أمره مولعا بأساليب البلاغة شغفا في صنعتي الانشاء والكتابة ينتقي من جوامع الكلم أبلغها ويختار من أحاسن الانشاء أبدعها ليعينه حفظ ما جمع على كماله في صناعة الانشاء وبراعته في فني الخطابة والكتابة شأن المشتغلين بالأدب في كل عصر ومصر : هذا ولاغيره حمل الشريف الرضي على تدوين الخطب والكتب والكلم المأثورة عن امير البلغاء وامام الفصحاء سيدنا علي عليه السلام ولو كان يجمع لغرض فقهي أو غاية مذهبية لأورد كثيراً من الخطب بأسانيدها المستفيضة وليس الرضي مخطئاً في سلوك هذا المذهب في الأدب لأننا شاهدنا جماهير العرب والعجم الشرقيين(٢) والمستشرقين ممن يتطلبون بلاغة اللسان وبراعة القلم يستظهرون نهج البلاغة لما فيه من فصاحة بانسجام وبلاغة خالية من كل تعقيد أو تكلف وعروبة صميمة تعالى عهدها عن

---

(١) فمن ورعه ما رواه ابن زهرة في غاية الاختصار ص ٥٩ وغيره في غيرها ان القادر بالله العباسي كان في بلاده كاسمه وكان قد ولى الشريف الرضي نقابة النقباء وولى اباه امارة الحج ومع ذلك لما عمل المحضر المشهور لانكار نسب الملوك الفاطميين بمصر وكلف الحاضرين بالتوقيع امتنع الشريف الرضي مستظلا انكار نسب ثابت ولم يخش بطش الخليفة فيه

(٢) حكى عبد المسيح في شرح قصيدته ص ٥٤١ ان شيخه ناصيف اليازجي قال له (ما اتقنت الكتابة الا بدرس القرآن العظيم ونهج البلاغة القويم فهما كنز العربية الذي لا ينفد وذخيرتها المستأنف وهيهات ان يظفر اديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة ان لم يحي لياليه سهرا في مطالعتهما والتبحر في عالي اساليبهما)

تصنعات عهد المولدين وليس الرضي بدعا من رسل الترسل ولا بأول سالك نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام والاستضاءة بنبراسه فقد سبقته قوافل من رواد العبقرية الانشائية مسترشدين بكلم علي عليه السلام وخطبه وكتبه فقد قال عبد الحميد بن يحيى (حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت) يعني بالأصلع سيدنا علياً وقال ابن نباته (حفظت من الخطب ككنزاً لا يزيده الانفاق إلا سعة حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب) وكم زين الجاحظ كتبه مثل البيان والتبيين بفصول من خطب امير المؤمنين اعجابا بها واعدادا للنفوس لبلوغ اقصى البلاغة. هذه غاية الأدباء في حفظ كلامه وهذا ما حمل الشريف الرضي على جمع المختار من خطب علي (ع) وكتبه وكلمه في ابواب ثلاثة وقال في مقدمة الكتاب انه آثر لنفسه جمع المختار من ذلك وترك لكل باب اوراقا بيضاء ليلحق بالمدون ماسيظفر به في المستقبل ولم تكن في نفسه غير داعية الأدب داعية أخرى ولو كان قلمه يحمل شيئا من التعصب في المذهب لما أثبت في كتابه تأبين علي لعمر (١) بأعلى ما يمدح به ممدوح وكان في مندوحة من حذفه كما سيأتي في حين ان هذا التأبين يحمل في تضاعيفه اقصى المدح وأعلاه واما ذمه له في الشقشقية إذا قيس بهذا المدح اضحى خلا مضمحلا:

سر الشك في نهج البلاغة

(٣) ان مجموعة نهج البلاغة عقد في الأدب ثمين وينبوع للعلم غزير المادة لا ينبغي أن يستخف بوزنه لمجرد تعصب اشخاص او طوائف ضعيفة المركز لا تعرف ثمن الحكمة ولا تلتفت إلى العواقب قام في عصره سيد الشعراء بلامراء ألا وهو الشريف الرضي فسن لنهضة النشؤ العربي نهج البلاغة واختار من مختار

---

(١) كما في شرح النهج ج ٣ ص ٩٢ (لله بلاد فلان فقد قوم الاود وداوى العمد واقام السنة وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضال ولا يستيقن المهتدي

كلام امير البلاغة وإمام الانشاء مجموعة وافية بالغرض وثق من اسنادها وهو الثقة عند الجميع

فما بال بعض اخواننا المنتمين إلى أهل السنة يقدحون في هذا الكتاب كله لمجرد تأثرهم مما في الخطبة الشقشقية وحدها وما بال بعض المتطرفين من اخواننا الشيعة يتوقفون في توثيق هذه المجموعة القيمة لمجرد استبعادهم لخطبة (لله بلاد فلان) المتضمنة تأبين سيدنا علي (ع) لعمر (رض) ونعته بالوصف الجميل ولنا في كلتا الخطبتين مجال التأويل

صحة اسناد الشقشقية

(٤) اما الخطبة الشقشقية فلا يجوز لعالم أو متنحل للعلم أن يراها من الشريف الرضي لأن كثيرا من أدباء عصره أثبتوها في مدوناتهم وارسلوا نسبتها إلى علي ارسال المسلمات كالوزير الآبي أبي سعيد منصور المتوفى سنة ٤٢٢ في كتابيه نثر الدرر ونزهة الأديب

ولو كانت الشقشقية وليدة عصرهم لعرفوا أمرها وتثبتوا في اسنادها شأن المعاصر مع معاصريه ويدلك على ان شقشقية الوزير غير منقولة عن نهج البلاغة اختلاف بينهما في بعض الألفاظ والجمل وهناك من مشايخ الرضي الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان علامة بغداد ورئيس المتكلمين بها في دولة بني بويه و كان الشريف الرضي قد تلمذ على هذا الشيخ من عهد صباه وألف شيخه هذا كتابا في المناقب اسماه الارشاد تواترت نسبته اليه تجد فيه كثيراً من خطب الإمام علي (ع) ومن جملتها الخطبة الشقشقية أوردها في الصحيفة ١٣٥ قائلا (وروى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال كنت عند امير المؤمنين (ع) بالرحبة فذكرت الخلافة وتقديم من تقدم عليه فتنفس الصعداء ثم قال اما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة الخ : ولا يجوز اقتباس الشيخ المفيد هذه الخطبة من نهج البلاغة ونقلها إلى كتابه لأن الرضي لا يعهد للخطبة اسنادا

بل يقول (ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية اما والله لقد تقمصها) إلى آخر الخطبة في حين ان شيخه المفيد يمهد لها قصة واسناداً زد على ذلك ان العادة تقضي بنقل التلامذة عن شيوخهم لا الشيوخ عن تلامذتهم ويدلك على ان شقشقية المفيد غير منقولة عن نهج البلاغة اختلاف بينهما في بعض الألفاظ والجمل :

والنتيجة انفراد الشريف الرضي في نقله عن مصدر له وانفراد شيخه المفيد في نقله عن مصدر آخر وانفراد الوزير في نقله عن مصدر ثالث نعم ان جوهر المعاني والمقاصد واحد في الجميع

الشقشقية كما في نهج البلاغة (١)

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتاي بين ان أصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده (ثم تمثل بقول الأعشى)

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم ففي الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر لكني اسففت إذ اسفوا وطرت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن

(١) كما وردت في شرح ابن أبي الحديد.

وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع إلى ان انتكث فتله واجهز عليه عماله وكبت به بطنته فما راعني إلا والناس كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز (قالوا) وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه قال له ابن عباس (رض) يا أمير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ان لا يكون امير المؤمنين بلغ منه حيث أراد

الشقشقية كما في نسخة الوزير الآبي

قال الوزير وذكرت عنده الخلافة فقال لقد تقمصها ابن ابي قحافة وهو يعلم ان محلي منها محل القطب ينحدر عني السيل ولا ترقى الي الطير فصبرت وفي الحلق شجى وفي العين قذى لما رأيت تراثي نهبا فلما مضى لسبيله صيرها الى أخي عدي فصيرها في ناحية خشناء تمنع مسها ويغلظ كلامها فمني الناس بتلوم وتلون وزلل واعتذار فلما مضى لسبيله صيرها إلى ستة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض في الريب فأقرن بهذه النظائر فمال رجل لضغنه وصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يهضمون مال الله هضم

الابل نبتة الربيع فلما أجهز عليه عمله ومضى لسبيله ما راعني إلا والناس إلي سراعا كعرف الضبع وانثالوا علي من كل فج حتى وطئ الحسنان وانشق عطفاي فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله تعالى يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ولكنهم احلولت الدنيا في عيونهم وراعهم زبرجها اما والله لولا حضور الحاضر ولزوم الطاعة وما أخذ الله على العباد أن لا يقروا كظة ظالم ولا شغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز

سيان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فقام رجل من القوم ناوله كتابا شغل به قال ابن عباس فقمت اليه وقلت يا امير المؤمنين لو بلغت مقالتك من حيث قطعت فقال هيهات كانت شقشقة هدرت فقرت

الشقشقية كما في ارشاد المفيد

أما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير لكني سدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتإي بين ان أصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا إلى ان حضره أجله فأدلى بها إلى عمر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فصيرها والله في ناحية خشناء يجفو مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار والاعتذار منها صاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وإن أسلس لها عسف فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض الى ان ضرته الوفاة فجعلها شورى بين

جماعة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض في الريب مع الأولين منهم حتى صرت الآن اقرن بهذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت إذ طاروا صبرا على طول المحنة وانقضاء المدة فمال رجل لضغنه وصغا آخر لصهره مع هن وهن إلى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وامرع معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع إلى ان ثوت بطنته واجهز عليه عمله فما راعني من الناس إلا وهم رسل إلي كعرف الضبع يسألونني ان أبايعهم وانثالوا علي حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت دنياهم في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وازوم الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقادوا الى أولياء الامر الا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولألفوا دنياهم هذه ازهد عندي من عطفة عنز قال فقام اليه رجل من اهل السواد فناوله كتابا فقطع كلامه قال ابن عباس فما اسفت على شيء ولا تفجعت كتفجعي على مافاتني من كلام امير المؤمنين (ع) فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث انتهيت اليها فقال هيهات هيهات يا ابن عباس كانت شقشقة هدرت ثم قرت

شقشقية البرقي عن كتاب علل الشرائع

والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عنه السيل ولا يرتقي اليه الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذا او اصبر على طخية عمياء يشيب

فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتي احجى فصبرت وفي القلب قذى وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى اذا مضى لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده فيا عجبا بينا يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته فصيرها والله في حوزة خشناء يخشن مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان عنف بها حرن وان اسلس بها غسق فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض مع هن وهن فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني منهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر فيال رجل لضغنه وأصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يهضمون مال الله هضم الإبل نبت الربيع حتى اجهز عليه عمله وكبت به مطيته فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع قد انثالوا علي من كل جانب حتى لقد وطأ الحسنان وشق عطفاي حتى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة وفسقت أخرى ومرق آخرون كأنهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ولكن احلولت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء الا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس أولها ولألفيتم دنياكم ازهد عندي من عطفة عنز: قال وناوله رجل من أهل السواد كتابا فقطع كلامه وتناول الكتاب فقلت يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت فقال هيهات هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام امير المؤمنين (ع) إذ لم يبلغ به حيث أراد

شقشقية الجلودي عن كتاب معاني الأخبار

والله لقد تقمصها اخوتيم وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر منه السيل ولا يرتقي اليه الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت أرتأي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يدب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح مؤمن حتى يلقى الله فرأيت الصبر على هاتين احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ارى تراثي نهباً حتى إذا مضى لسبيله عقدها لاخي عدي بعده فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فصيرها والله في حوزة يخشن مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار والاعتذار فصاحبها كراكب الصعبة ان عنف بها حرن وان اسلس بها عسف فمني الناس بتلون واعتراض وبلواي مع هن وهني فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني منهم فيا لله لهم وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول حتى صرت اقرن بهذه النظائر فمال رجل بضغنه واصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يهضمون مال الله هضم الابل نبت الربيع حتى اجهز عليه عمله فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع قد انثالوا علي من كل جانب حتى لقد وطأ الحسنان عطافي حتى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة وفسقت اخرى ومرق آخرون كأنهم لم يسمعوا قول الله تبارك وتعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوا ولكن احلولت الدنيا في اعينهم وارقهم زبرجها والذي فلق الحبة وبرء النسمة لولا حضور الناصر وقيام الحجة وما أخذ الله على العلماء الا يقروا كظة ظالم ولا سغب مظلوم ولالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم عندي أزهد من حبقة عنز (قال) وناوله رجل من اهل السواد كتابا فقطع كلامه وتناول الكتاب فقلت يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت فقال هيهات يا ابن عباس تلك

شقشقة هدرت ثم قرت فما اسفت على كلام قط كأسفي على كلام امير المؤمنين صلوات الله عليه انه لم يبلغ حيث أراد

الناقلون للخطبة الشقشقية قبل الرضي

[٥] سبقت منا الإشارة إلى ان الخطبة الشقشقية ليست وليدة عصر الشريف الرضي ولا هي مختصة بمجموعة (نهج البلاغة) وكان في ايراد هذه الخطبة عن كتابي نثر الدرر ونزهة الأديب : بصورة تختلف بعض الاختلاف عما في النهج وكذا اختلاف نسخة المفيد عنه دلالة على انفراد كل منهم بمصدر خاص به وان احدهم لم يطلع على ما رواه الآخر وفي قول الرضي في صدر الخطبة (ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية) دلالة أخرى على كونها مشهورة بين اهل العلم واقوى برهان على صحة ما ادعيناه ورود هذه الخطبة بخطوط اقدم من عصر الرضي وروايتها عن شيوخ وجدوا من قبل ان يخلق الرضي وقبل أن يخلق ابوه كأبي علي الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣ حسبما نقل عنه الشيخ ابراهيم القطيفي في كتابه الفرقة الناجية قال (وقد روى الخطبة الشقشقية جماعة قبل الرضي كابن عبد ربه في الجزء الرابع من العقد (١) وابي علي الجبائي في كتابه وابن الخشاب في درسه والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب المواعظ والزواجر والصدوق في معاني الأخبار والشيخ المفيد)

اقول : وابن عبد ربه هذا هو المتوفى سنة ٣٢٧ وهو عثماني لأن له ارجوزة في تواريخ الخلفاء عد معاوية فيها رابع الخلفاء الراشدين ولم يذكر عليا من شدة نصبه فهل بعد روايته للشقشقية عن علي (ع) يشك فيها منصف : وقد صرح فيلسوف المؤرخين ابن ابي الحديد في آخر شرحه للشقشقية ص٦٩ ج ل (قال حدثني شيخي ابو الخير مصدق بن شبيب سنة ٦٠٣ قال قرأت على الشيخ ابي محمد عبد الله بن

---

(١) تحرينا الجزء الرابع فلم نجد الشقشقية فيه فإما ان يدا اثيمة حذفت هذه الخطبة من النسخة الاصلية عند الطبع وإما ان القطيفي اشتبه في هذه النسبة عند نقله

احمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة – إلى أن قال – فقلت له اتقول انها منحولة فقال لا والله واني أعلم انها كلامه (ع) كما أعلم انك مصدق قال فقلت له ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضي فقال انى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ومايقع مع هذا الكلام في خل ولاخمر ثم قال والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ولقد وجدتها مسطورة اعرفها واعرف خطوط من هي من العلماء واهل الأدب قبل ان يخلق النقيب أو أحمد والد الرضي : قال ابن ابي الحديد قلت ووجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة ووجدت أيضا كثيرا منها في كتاب ابي جعفر بن قبة احد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف وكان ابو جعفر هذا من تلامذة الشيخ ابي القاسم البلخي ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضي موجوداً) انتهى كلامه

أقول : وقال مدرس دار العلوم المصرية أحمد صفوة المؤرخين في كتاب علي (ع) ص ١٣٥ س ٩ (من ذلك يتبين لك ان الشقشقية كانت معروفة قبل مولد الرضي من اكثر من طريق فلا تبعة إذن عليه ولا سبيل إلى اتهامه بانتحالها) وقال استاذ الحكماء ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩ انه رأى الخطبة الشقشقية في كتاب الانصاف لأبي جعفر بن قبة من أبناء القرن الثالث كما انه رآها في نسخة عليها خط ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر بالله العباسي وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة

اقول : وممن نقل الشقشقية في كتابه قبل عصر الرضي هو أحمد بن محمد البرقي المتوفى سنة ٢٧٤ صاحب المؤلفات الوافرة وقد نقل عنه الصدوق في كتابه علل الشرائع في الباب ١٢٢ مسنداً عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن

القاسم عن أحمد بن ابي عبد الله البرقي عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابان بن عثمان عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) قال والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة الخ . وممن نقل الخطبة الشقشقية قبل الرضي هو عبد العزيز بن يحيى الجلودي من شيوخ المائة الثالثة ومن الجامعين لخطب امير المؤمنين عليه السلام وقد روى عنه الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ في كتاب معاني الأخبار في الباب ٤٠٤ قال حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحق الطالقاني قال عبدالعزيز بن يحيى الجلودي قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبدالحميد الحماني قال حدثني عيسى ابن راشد عن علي بن خزيمة عن عكرمة عن ابن عباس قال ذكرت الخلافة عند امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقال والله لقد تقمصها اخو تيم وهو يعلم (الخ) ولقد ذكرنا هذه الخطبة على الوجه الذي رواه الجلودي كما رأيناها في معاني الاخبار ضمن الجداول الخمسة وهي تختلف عن رواية البرقي لها قليلا كما انهما تختلفان مع التي رواها المفيد وغيره اختلافاً يسيراً ولم يذكر القاءها في الرحبة احد غير المفيد وينشأ مثل هذا الاختلاف غالباً في النقل بسبب خيانة القوة الحافظة من الرواة او التباس الحروف في الكتابة على النساخ .

وممن روى الشقشقية قبل الشريف الرضي هو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ حسبما نقل عنه ابن بابويه في معاني الاخبار باب ٤٠٤ ونقل عنه تفسيره لكلمات هذه الخطبة وهذا من الجامعين لخطب أمير المؤمنين (ع) والخلاصة من تعداد اسماء الناقلين للشقشقية قبل الشريف الرضي حسبما تتبعناهم عشرة :

(١) شيخ المعتزلة ابو القاسم البلخي المتوفى سنة ٣١٧ حسبما رواه ابن ابي الحديد في شرح النهج ص ٦٩ ج ١ ط مصر من ابناء المائة الثالثة

(٢) الشيخ ابو جعفر بن قبه من ابناء المائة الثالثة في كتاب الانصاف برواية

ابن ابي الحديد والشيخ ابن ميثم البحراني في شرحيهما على الشقشقية

(٣) نسخة الخطبة الشقشقية قديمة الخط عليها كتابة الوزير ابي الحسن علي بن الفرات المتوفى سنة ٣١٢ حسبما رواه شيخ المتكلمين ابن ميثم البحراني في شرحه

(٤) احمد بن محمد البرقي المتوفى سنة ٢٧٤ مصنف كتاب المحاسن حسبما روى عنه الشيخ الطوسي محمد بن بابويه في كتاب علل الشرايع في الباب الثاني والعشرين بعد المائة وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٢٨٩

(٥) شيخ المؤرخين عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري من ابناء القرن الثالث حسبما رواه عنه ابن بابويه في الباب ٤٠٤ من كتابه (معاني الأخبار) المطبوع سنة ١٢٨٩

(٦) شيخ المحدثين الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري من ابناء القرن الثالث في كتاب المواعظ والزواجر حسبما روى عنه القطيفي في كتاب الفرقة الناجية وروى عنه الصدوق ابن بابويه شرح الخطبة في معاني الأخبار باب ٤٠٤

(٧) شيخ المتكلمين ببغداد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد من شيوخ الشريف الرضي في كتابه الارشاد ص ١٣٥

(٨) الوزير الأبي ابو سعيد منصور من ابناء القرن الرابع في كتابه نثر الدرر

(٩) شيخ المعتزلة محمد بن عبد الوهاب ابو علي الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣ حسبما رواه عنه الشيخ ابراهيم القطيفي في كتابه الفرقة الناجية

الدفاع عن الشقشقية

[٦] وقفت ايها الناظر على جملة من مشاهير أهل العلم الذين اوردوا في كتبهم الخطبة الشقشقية مروية عن الإمام عليه السلام ممن وجدوا قبل ان يوجد الشريف الرضي وسوف تقف على جملة اخرى من ثقاة أهل الأثر وزعماء الفرق الإسلامية واعتمد على هؤلاء وامثالهم من تأخر عنهم . فقد حكي عن نهاية ابن

الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ انه اشار اليها في مادة (شقق) وعن مناقب ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ورودها وهو الرأي السائد عند اهل العلم إذاً فالنصفة تدعو إلى الإذعان بها وان جهلها مفروغة عن لسان علي (ع) وعن ثأثراته الشخصية التي لا بد وان تكون صادرة من مثله ونشعر في الوقت نفسه أن الاسلوب فيها هو اسلوب علي (ع) في خطبه والتمهدات تمهداته أما القول بأن لا يجهر مثله في المجتمعات بمثل هذا الكلام على اولي أمر سبقوه في ملك وطدوه فقول لا ينطبق على نفس الأمر لأن الذين رووا عنه الخطبة لم يشيروا إلى القائها في محتشد من الناس أو على جمهور وانما ذكروا انها شقشقة هدرت منه عند بعض اصحابه في الرحبة أي بصورة خصوصية فلا يستبعد بث شكواه لدى خاصته وان اشتملت على بعض القوارص وفي كتابه إلى عامله عثمان بن حنيف يقول (بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلت عليه السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم) الخ يعني الأول من سبقوه بالخلافة ويعني بالآخرين اهل بيت النبي (ص) و كان ابو الحسن عليه السلام خشنا في جنب الحق صريحا في المعتقد حتى انه خاطب عمرو بن العاص بابن النابغة وقد عيره عثمان بن عفان من قبل ونعت معاوية بالفاجر بن الفاجر وخلاصة القول ان نظرات ضعيفة كهذه لا تستوقف الباحث عن الحقائق إذا صح النقل وتجلى الأمر

الجامعون لخطب الإمام قبل الرضي

[٧] يظن من أشرف على مجموعة الشريف الرضي قبل ان يبحث عما كتبه السلف ان الشريف الرضي هو أول من دون الخطب أو هو أول جامع لخطب الإمام عليه السلام . ولكن يجب ان يعلم بالحاجة الشديدة التي مست المسلمين عامة في بدء توسع الحضارة الإسلامية فدفعتهم إلى حفظ الكلام البليغ واستكتابه إذ كانت العرب قبل حضارتها تتوجه إلى الكلام البليغ من شعر وخطبة وحكمة فتحفظ ما تعيه ولا تجهل فائدة ذلك إلا انهم بعد التوسع في

الحضارة شعروا بالحاجة القوية إلى براعة اللسان والقلم وان الواحد منهم يقدّر بلسانه لا بطيلسانه وترفع منزلته في دواوين الدولة على قدر مقدرته الانشائية وينال الزلفى لدى الملوك والأمراء حسب مبلغه من بلاغة الكلام ومبلغ حفظه للكلم الممتاز والحكم العالية هذه وغير هذه دفعت العرب إلى جمع النوادر والخطب وكان امير المؤمنين (ع) في مقدمة المشهورين بنوادر الحكم وطرائف الكلم فآثر الناس جمع المأثور عنه على غيره إذ كان الاعجاب ببلاغته أعظم والمأثور عنه أوفر وقد ظفرت بكثير ممن جمعوا خطب الإمام (ع) في اعصار قبل الشريف الرضي أي من ابناء المائة الاولى والمائة الثانية والمائة الثالثة وما بعدها أقدم للقارئ الكريم اسماءهم رفعاً للشبهة وتقوية للحجة وخدمة للتاريخ كي لا يستوحش أحد من الخطب المجموعة من الشريف الرضي أو يستغرب كثرتها وقد نشر ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ في غريبه وابن قتيبة عبد الله بن مسلم المروزي المتوفى سنة ٢٧٦ في كتابه غريب الحديث وفي غيره وكثير من المؤلفين في عهد التابعين شذرات من المأثور عن امير المؤمنين (ع) في ابواب المواعظ والحكم والدعاء وغيرها قال ابن ابي الحديد في أواخر شرحه نهج البلاغة مالفظه (وانا الآن اذكر من كلامه الغريب — يعني أمير المؤمنين علي (ع) مالم يورده أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كلامهما واشرحه ايضا) : اما الجامعون لخطب الإمام عليه السلام من الأقدمين فمنهم (١) زيد بن وهب المتوفى سنة ٩٦ هجرية قال شيخنا النوري في خاتمة مستدركه على الوسائل ص ٨٠٥ نقلا عن الشيخ الطوسي ابي جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦١ قال ان لزيد بن وهب كتاب خطب امير المؤمنين (ع) على المنابر في الجمع والأعياد و(٢) نصر بن مزاحم صاحب كتاب صفين ومن مشاهير الاخباريين في المائة الثانية له كتاب في خطب علي (ع) كما في خاتمة مستدركات النوري ص ٨٠٥ وقد اورد له (ع) خطبا و كلمات في كتبه الأخرى . أما كتب المغازي والحروب والأخبار والسير التي اشتملت على

كلمات علي (ع) وخطبه فهي اكثر من خمسمائة مصنف توفي اصحابها قبل ان يولد الشريف الرضي (٣) اسماعيل بن مهران أبو يعقوب السكوني من العلماء المحدثين في المئة الثانية صنف كتاب خطب امير المؤمنين صرح بذلك الشيخ ابو عمرو محمد بن عمر الكشي من ابناء المائة الرابعة والشيخ ابو العباس النجاشي المتوفى سنة ٤٥١ وغيرهما في فهارسهم و (٤) ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٢٠٦ صنف كتاب خطب علي (ع) و كثيراً ما ينقل عنه المفيد في ارشاده والرضي في مجموعته و (٥) ابو مخنف لوط بن يحيى الازدي الاخباري المشهور من ابناء المائة الثانية صنف كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين (ع) صرح بذلك ابو الفرج ابن النديم في الفهرست و (٦) الواقدي محمد بن عمر بن واقد الاسلمي المتوفى سنة ٢٠٧ وقد نقل الشريف الرضي عن خطه في نهج البلاغة بعض الخطب و (٧) ابو اسحق ابراهيم ابن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي المحدث المشهور المتوفى سنة ٢٨٣ هـ فقد صنف كتاب رسائل علي امير المؤمنين (ع) و كتاب كلامه في الشورى و كتاب الخطب المعربات (خ ل المقربات كما قاله النجاشي) روى كثيراً من كلامه وجوامع الفاظه في كثير من كتبه و (٨) المدايني) ابو الحسن علي بن محمد المولود سنة ١٣٥ والمتوفى سنة ٢١٥ صنف كتاب خطب علي (ع) و كتبه إلى عماله عن ابن النديم وغيره و (٩) الحسن بن علي الحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة له كتاب تحف العقول مشحون بخطب امير المؤمنين (ع) و كلماته الغر و (١٠) صالح بن ابي حماد أبي الخير من المحدثين في المائة الثالثة ومن اصحاب سيدنا الحسن العسكري (ع) له كتاب خطب علي (ع) كما في فهرست النجاشي و (١١) السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني المعروف بالشاه والمدفون في الري بقرب طهران من ابناء المائة الثانية ومن أصحاب سيدنا الإمام علي الرضا (ع) له كتاب في خطب جده امير المؤمنين (ع) كما في فهرست النجاشي و (١٢) مسعدة بن صدقة

العبدي من اصحاب الإمام الصادق وسيدنا الكاظم عليهما السلام في المائة الثانية له كتاب خطب امير المؤمنين (ع) حسبما قاله النجاشي و (١٣) ابراهيم بن سليمان النهشمي الخزاز الكوفي له كتاب الخطب لأمير المؤمنين (ع) وهو من المائة الثالثة كما في فهرست النجاشي و (١٤) ابو عثمان الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٢٥ له كتاب مائة كلمة من كلمات علي أمير المؤمنين عليه السلام و (١٥) عبد العزيز الجلودي بن يحيى البصري الاخباري المشهور من علماء المائة الثالثة للهجرة صنف وحده في هذا الموضوع كتباً عشرة وهي (ا) كتاب خطب امير المؤمنين علي (ع) (ب) كتاب شعر علي (ع) (ج) كتاب رسائل علي (ع) (د) كتاب مواعظ علي (ه) كتاب ملاحم علي في الملاحم يعني المغيبات من الحوادث المستقبلة (و) كتاب كلام علي في الشورى (ز) كتاب ما كان بين علي وبين عثمان من الكلام (ح) كتاب دعاء علي (ط) كتاب ذكر علي لخديجة ولفضائل أهل البيت (ي) كتاب بقية رسائل علي وخطبه كرم الله وجهه

فإذا وقفت على هؤلاء الجماهير من حملة الآثار وثقاة النقلة وقدرت الاهتمام العظيم من السلف بحفظ الخطب واستظهارها واستنساخ الكتب والرسائل من قصصنا عليك اسماءهم ومنهم من لم نقصص عليك وربما كان هذا القسم اكثر انجلت عن قلبك غيوم الشبهة التي يأتي بها من هنا وهناك الشاكون والمنحرفون

مصادر قديمة لما في نهج البلاغة

(٨) إن من أقوى ما يجلو غيوم الشكوك والأوهام عن أفق هذه المجموعة التي حوت بين الدفة والدفة خطب الإمام وكتبه وكلماته وحول نزاهة الشريف الرضي عن إضافة شيء فيها غير ماثور لهو هذا الذي نبديه الآن فإنا نحصي عليك عديداً من المؤلفين الاثبات الذين رووا خطب امير المؤمنين (ع) ورسائله في كتبهم من قبل أن يولد الرضي وقبل أن يخلق وهذا الفصل يعد علاوة لما فصلناه فيما سبق من اسماء الجامعين لخطبه وكتبه وكلمه ولقد ظفرنا على كتب قديمة العهد

تشتمل على كثير من خطب الإمام علي (ع) ولا تعدم الخطبة سندا أو أسانيد بجانب نحوها اعتماد النفس وهي (ا) الكافي للشيخ الكليني محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٣٢٨ ولاسيما في جزء الروضة منه ففيه عشرات من خطب الإمام ضافية الذيول موصولة الأسناد بالأسناد وكذا في كتابه الرسائل (ب) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ ففيه عدد لا يستهان به من خطب التوحيد وما يناسبه وكذلك في كتبه الأخرى كمن لا يحضره الفقيه وفي أماليه وفي مدينة العلم وفي الخصال وفي علل الشرائع وفي معاني الأخبار (ج) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد النعمان المتوفى ببغداد سنة ٤١٣ فإن في ابواب فضائل الإمام علي (ع) لقدرا كبيرا من خطبه الغر في ابواب شتى نحو اربعين صحيفة وبعضها يختلف عما في النهج اختلافاً يسيرا (د) العقد الفريد للمؤرخ في الدولة الأموية المغربية احمد بن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٧ (ه) نزهة الأديب وكذا نثر الدرر للوزير الآبي ابي سعيد منصور المتوفى سنة ٤٢٢ في سبعة مجلدات ويوجد بكتابة قديمة الخط في بعض خزائن النجف (و) تحف العقول للحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة (ز) روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ح) تاريخ الملوك والأمم لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ (ط) المسترشد في الأمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي المعاصر لسميه السالف ذكره وعبثاً احاول إثبات ارقام متسلسلة لهذا المبحث الذي لا يدخل تحت الحساب وقلما يوجد سفر أدبي او ديني او تاريخي يخلو من خطب الإمام وكلمه وقد قال مدرس دار العلوم المصرية احمد صفوة المؤرخين في كتاب علي (ع) ص ١٢٥ (ان الأدباء والمؤرخين الذين تقدموا الشريف الرضي كانوا يوقنون ان خطب الإمام بضع مآت) وقال المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ (ان الخطب المنقولة عن امير المؤمنين (ع) هي اربعمائة ونيف وثمانون خطبة) وهذا المؤرخ الثقة توفي قبل الشريف الرضي ببضعة عشر عاما أضف إلى ذلك كتب محمد بن السائب

الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ و كتب محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ و كتب عبد الملك بن هشام المتوفى سنه ٢١٣ و كتب احمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ و كتب ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المرواني المتوفى سنة ٣٥٦ و كتب احمد بن محمد البرقي المتوفى سنة ٢٧٤ :

واما الناقلون لخطبه بعد الشريف فهم لايحصون كالقاضي القضاعي في دستور الحكم واخطب خوارزم موفق بن احمد في مناقبه والكنجي الشافعي في كفاية الطالب وابن طلحة الشافعي في مطالبه وابن الجوزي في المدهش والشيخ ابراهيم الكراجكي في فوائده وغيرهم في غيرها

هل في النهج دخيل

(٩) ذهب شطر من الكتاب وفيهم الكاتب المعتزلي عبد الحميد بن ابي الحديد فيلسوف المؤرخين إلى القول بأن المجموع في نهج البلاغة من الدفة إلى الدفة معلوم الثبوت قطعي الصدور من امير المؤمنين من فمه او من قلمه او من مقاله الآتي في شرحه على نهج البلاغة ج ١٠ ص ٥٤٦ بعد إيراده لخطبة ابن أبي الشحناء المشهور ونصه [كثير من ارباب الهوى يقولون ان كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح وركبوا بينات الطريق ضلالة وقلة معرفة بأساليب الكلام وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول لايخلو اما ان يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولا او بعضه والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه إلى امير المؤمنين وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثير منهم وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك والثاني يدل على ما قلناه لأن من قد آنس بالكلام والخطابة وشد طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولد

وإذا وقفت على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء او لإثنين منهم فقط فلابد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين : ألاترى : انا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان ابي تمام فوجدناه قد كتب في اثنائه قصائد او قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر ابي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض الا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر ابي نواس شيئا كثيراً لما ظهر لهم انه ليس من الفاظه ولا من شعره ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة وانت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحداً واسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية : وكالقرآن العزيز أوله كآوسطه واوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور : ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم ان هذا الكتاب او بعضه منحول إلى امير المؤمنين (ع) : واعلم ان قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأنا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على انفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ابداً وساغ لطاعن ان يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع وكذلك ما نقل عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك وكل جعله هذا الطاعن - يعني في خطب النهج — مستنداً له فيما يرويه عن النبي (ص) والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين فلناصري امير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح] انتهى كلامه الخ

ونحن الشعرة الوسطى من اهل العلم نقول ان اخواننا الشيعة يعتقدون بأن الخطب والكتب والكلم والمرويات في نهج البلاغة حالها كحال الخطب المروية

عن رسول الله (ص) التي بعضها متواتر قطعي الصدور وبعضها غير متواتر فهو ظني السند لا نحكم عليه بالانتحال والافتعال إلا بعد قيام الدليل العلمي على كذبه كما اننا لا نحكم بصحته جزماً إلا بعد قيام الدليل ومن اسند غير هذا فقد افترى علينا وكيف يسند منصف إلى الشيعة اعتقادا بثبوت جميع ما بين الدفتين من هذا الكتاب وفيها ما يخالفهم اكثر مما يوافقهم كتأبين علي لعمر ولو كان لذوي الأغراض من الشيعة ان يلعبوا في نهج البلاغة محواً أو اثباتا لحذفوا هذا التأبين وعليه فالاعتدال والحق الذي احق ان يتبع يقضيان علينا بأن نجعل لهذا الكتاب من القيمة الدينية ما نجعله لغيره من الجوامع الصحاح والكتب الدينية المعتبرة ونعترف بقيمته الأدبية وتفوقها من هذه الجهة على كل كتاب بعد كتاب الله سبحانه

دفع الشبهات عن نهج البلاغة

[خاتمة الكتاب]

(١٠) لقد نال موضوع تصحيح نهج البلاغة منزلة من الوضوح وتنورت أطرافه من حيث كثرة الأسانيد لحد لم يدع مجالا للمتقولين عليه فيما بحثنا عنه إلا ان البعض ممن ركبوا العصبية ونكبوا عن النهج قد يضربون عن كل هذه الحجج والدلائل صفحا ويتشبثون بشبهات واهية (الأولى) كثرة الخطب وطولها وتعذر الحفظ والضبط في أمثالها فإن الخطب الطوال يصعب حفظها وتذكر الفاظها بعد الأجيال (والجواب عنها) انها ليست باعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الأخرى من الأوائل ومن الخطب والمأثورات الضافية التي رويت عن النبي المصطفى (ص) وعن غيره ممن تقدم عليه زمانه أو تأخر في حين ان العناية بالحفظ والكتابة كانت في زمن الراشدين أهم واعظم مما قبله ونعتوا ابن عباس بأنه كان يحفظ القصائد الطوال لأول مرة من سماعها وكان مثله في عامة العرب كثيراً ولا يزال حتى اليوم : والاعتناء بحفظ خطب الإمام كان اكثر حتى قال مدرس دار العلوم المصرية في كتاب علي (ع) ص ١٢٥ ان الأدباء والمؤرخين

الذين تقدموا الشريف الرضي كانوا يعتقدون ان خطب الإمام عليه السلام كانت بضع مآت وحكي عن المسعودي اربعمائة ونيفا وثمانين خطبة. (الشبهة الثانية) اسناد بعض الخطب المروية في النهج إلى القطر الخارجي وغيره والجواب عنها ان الشريف الرضي أحق بالتصديق في روايته من غيره واعرف باساليب بلغاء العرب ولا يبعد ان يكون الذين جاؤوا بعد الإمام اقتفوا اثره في خطبه وافرغوها بألسنتهم وربما نحلها هؤلاء اشياعهم كما نحلوا معاوية بن ابي سفيان بعض خطب الإمام : قال مدرس دار العلوم احمد زكي صفوة المؤرخين (ومما يستوقف الباحث في هذا الباب ما أورده الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ في البيان والتبيين) قال قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من بالباب قال نفر من قريش يتباشرون بموتك فقال ويحك ولم ؟ قال لا ادري قال فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم وأذن للناس فدخلوا فحمد الله واثنى عليه واوجز ثم خطبهم خطبة اوردها الجاحظ وعقبها بقوله — وفي هذه الخطبة ابقاك الله ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من اجله دعاهم معاوية ومنها ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الأخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله اعلم باصحاب الأخبار وبكثير منهم وفي الحق ان الناقد المتأمل لا تخالجه ريبة في ان هذه الخطبة أجرى بها أن تعزى إلى الإمام إذ ترى روحه واضحة جلية فيها اسلوبا ومعنى وغرضا وكأني بالجاحظ ينبغي ان يقول ان الرواة نحلوها معاوية وهو يتشكك في صدق روايتهم هذه كما يلمح من قوله (والله اعلم بأصحاب الأمور وبكثير منهم) ولكنه يتحرج من المجاهرة بذلك لأنه (إنما يكتب ويخبر بما سمعه)

أقول : ويؤيد ما احتملناه اسناد الوزير الآبي بعض الخطب إلى زيد الشهيد

في حين انها مسندة في النهج إلى جده الإمام عليه السلام ويعتز سند الشريف الرضي بالمصادر القديمة لخطب النهج التي تروي هاتيك الخطب عن امير المؤمنين (ع) فلا يكون القاء زيد الشهيد لها إلا ضربا من الاقتفاء والاقتباس

(الشبهة الثالثة) : ان المجموع من خطبه عليه السلام يتضمن انباء غيبية واخبار الملاحم والفتن مما يختص علمه بالله وحده . والجواب عنها ان الغيب يختص علمه بالله سبحانه ومن ارتضاهم من انبيائه وأوليائه وكم حوت السنة النبوية انباء غيبية وأخباراً عن الملاحم والفتن وما ذلك عن النبي الكريم إلا بوحي من ربه العليم الخبير كذلك لا ينطق ابن عمه وربيب حجره وصاحب سره في الملاحم والخفايا إلا بخبر عن رسول الله (ص) ولقد قيل له عليه السلام (لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب) فأجاب عليه السلام (ليس هو بعلم غيب وإنما تعلم من ذي علم ..) ولا غرو فقد ثبت عن رسول الله (ص) فيه انه قال (انا مدينة العلم وعلي بابها) وقول علي عليه السلام لقد علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم يفتح من كل باب الف باب . فمن اختص من مهبط الوحي ومدينة العلم بمثل هذا الاختصاص لا يستغرب منه أن يملأ الكتب من أسرار الكائنات وكامنات الحوادث . ولنعتزل عن خطبه المروية في النهج ونسلك آثاره المتواترة في التاريخ فقد روى عنه المؤرخون كالمسعودي في مروج الذهب وابن ابي الحديد في شرح النهج ص ٤٢٥ مجلد١ وابن بطه في الابانة وابي داود في السنن وغيرهم في غيرها انه تنبأ بمصير الخوارج حينما أخبره الناس بأنهم عبروا النهر قال (ع) (لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل منا عشرة) فكان الأمر كذلك واستفاض عنه الخبر بمقتله وإنه سوف يخضب اشقاها هذه من هذه - واشار بيده إلى لحيته وجبهته - و كان إذا رأى ابن ملجم قال :

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

واستفاضت انباؤه في توسع ملك بني امية وبني العباس وخبره بمقتل

الحسين في كربلاء (١) ومما يدلك على جواز مثله واستقاء هذه العلوم من رسول الله (ص) خبر ام سلمة زوجة النبي (ص) بمقتل الحسين قبل وقوعه كما رواه الترمذي في صحيحه فإذا جاز لمثلها النبأ عن الحوادث المستقبلة واستقائها العلم عن رسول الله (ص) فلم لا يجوز مثل ذلك من علي (ع) وهو عيبة علمه وصاحب سره الذي كان يسكن في ظله ويتحرك في ضوئه . هذا من ناحية الدين واما من سواها فقد بلغتنا عن ساسة الأمم وحكمائها تنبوءات صادقة عن مصيرها في مسيرها ونحن لا نماري في ذلك مبدئيا فكيف نماري في المنقول عن ابن عم الرسول (ص) وترجمان وحيه وخازن علمه

(الشبهة الرابعة) : اشتمال خطب النهج على علوم تولدت في المجتمع الإسلامي بعد عصر الصحابة والتابعين مما يستبعد التحدث عنها قبلا كدقائق علم التوحيد وابحاث الرؤية والعدل والتوسع في كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفياته وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته : واجاب عنها : احمد زكي صفوة المؤرخين في (ص) ١٢٦ من كتابه علي بن ابي طالب (ع) قائلا (هل في فكر الإمام وحكمه نظريات فلسفية يعتاص على الباحث فهمها ويفتقر في درسها إلى كد ذهن وكدح خاطر : اللهم الا انها حكم سائغة مرسلة تمتزج بالروح من أقرب طريق وتدب إلى القلب دون تعمل او عناء وليس احد يماري في أن ايراد العرب للحكمة البالغة وضربهم الأمثال الرائعة فطري فيهم معروف عنهم منذ جاهليتهم لما اوتوه من صفاء الذهن واتقاد الحرية وسرعة الخاطر وقد اشتهر منهم بذلك كثير قبل الإسلام أفتستكثر الحكمة السامية على علي (ع) ؟ وهو من علمت سليل قريش الذين كانوا افصح العرب لسانا واعذبها بيانا وارقها لفظا واصفاها مزاجاً والطفها ذوقاً وقد قدمنا لك انه ربي في بيت النبي (ص) منذ حداثته

---

(١) راجع ص ٢٠٨ من الجلد الاول لشرح ابن ابي الحديد على النهج ففيه جمهرة من الروايات في اخباره (ع) عن المغيبات وكذا ص ٤٢٥ منه

فنشأ وشب في بيت النبوة ومهد الحكمة وينبوعها ولازم الرسول حتى عاقد وقد قال علي (ع) في بعض خطبه كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر امه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به . وكان من كبار كتاب وحيه وحفظ القرآن كله حفظاً جيداً وسمع الحديث الشريف ووعاه وتفقه في الدين حتى كان إماما هاديا وعالما عليما وفوق ذلك فأنت تعلم ان الشدائد تثقف الأذهان وصقال العقول تفتق عن مكنون الحكمة وتستخرج عصيها وقد مر بالإمام حين من عمره حافل بالشدائد مليئ بالعظائم والأهوال وحسبه ان يحمل مع ابن عمه (ص) اعباء امره ويبيته في فراشه ليلة هجرته متعرضاً لأذى المشركين الراصدين للرسول وان يخوض غمار الحرب في كل غزواته — إلا واحدة — ثم هو يقضي طول خلافته مذ بويع إلى ان قتل — اربع سنين وتسعة اشهر — في شجار ونضال وجلاد وكفاح تارة مع عائشة ومناصريها واخرى مع معاوية واشياعه ثم يبتلى بخلاف اصحابه عليه ويعاني من اختلاف مشاربهم وتباين اهوائهم وغريب شذوذهم وتحكمهم واعتسافهم مايضيق عنه صدر الحليم ويند معه صبر الصبور . كل اولئك التجاريب والظروف قد حنكته وصقلت من جوهر عقله وثقفت من حديد ذهنه وامدته بفيض زاخر من الحكم الثاقبة والآراء الناضجة وما العقل إلا التجربة والاختبار واخالك تذكر ما قدمناه لك آنفا من انه كان معروفاً بين الصحابة باصالة الرأي وسداد الفكر فكان بعض الخلفاء يفزع إلى مشورته إذا حزّ به أمر فيجيد الحز ويطبق المفصل ولم يكن رضي الله عنه بالرجل الخامل الغمر بل كان من سادة القوم وعليتهم وكان كل ما يجري من الشؤون السياسية في عهد الرسول (ص) وعهد الخلفاء السابقين له يمر أى منه ومسمع . بل كان له في بعضها خلع قوية وشأن خطير هذا المران السياسي الطويل المهد — وهو خمس وثلاثون سنة من بدء الهجرة عدا ما تقدمها — افاده شحذا في الذهن وثقوبا في الفكر فليس بمستنكر على مثل علي ان يكون حكيما) انتهى كلامه

واما جوابنا عنها : فهو ان المتأخر أخذ عن المتقدم لا ان المتأخر نسب إلى المتقدم وبيان ذلك ان علماء الإسلام المتأخرين إنما توسعوا في علومهم بعد ما تعمقوا في آيات التوحيد والمعارف القرآنية وما وصل اليهم من خطب علي (ع) وكلمه في ابواب التوحيد وشؤون العالم الربوبي حتى ان الحجاج القى على علماء التابعين يوما شبهة الجبر فرده كل منهم بكلام خاص انفرد به فلما سألهم عن المأخذ قال كل منهم انه اخذ ذلك عن علي بن ابي طالب (ع) فقال الحجاج لقد جئتموها من عين صافية

ولقد كان ابن عم رسول الله يفيض على ابناء عصره ومصره بعلوم النبوة ومعارف الدين العالية إلا ان اكثرهم لم يكونوا ليفهموها بل كانوا يحملون هاتيك الكلم الجامعة إلى من ولدوا بعدهم كما قيل (رب حامل فقه إلى من هو أفقه) ونظير هذا آيات التوحيد والرؤية والكلام والعدل تلك الآيات التي تدبر فيها حكماء الإسلام في القرون المتأخرة وأظهروا معارفها العالية التي لم تخطر ببال أحد في عصر الصحابة . واوضح برهان لنا في المقام وجود جمل في خطب نهج البلاغة تنطبق بحركة الأرض وتنطبق على اصول الهيئة الجديدة ومسائلها التي حدثت بعد الألف الهجري كقوله عليه السلام في صفة الأرض (فسكنت على حركتها من ان تميد بأهلها او تسيخ بحملها) وقوله عليه السلام (وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها) و كلنا نعلم أن الرأي القائل بتحرك الأرض مع سكونها الظاهر مستحدث من بعد (غاليله) الايطالي (وكوبرنيك) الالماني و (نيوتن) الانكليزي ورأي ثبوت الحركات العشر للأرض متأخر عنهم جدا وكل هذه الآراء حادثة بعد انتشار شروح نهج البلاغة فضلا عن النهج الذي اشتهر امره من قبلها فهل يسوغ لامرئ ان يشك في تأليف نهج البلاغة وشروحه بحجة انها مشتملة على مسائل الهيئة المتأخرة عن الألف الهجري ؟ . . .

[الخامسة] اشتمال الخطب على اصطلاحات وجدت في القرون المتأخرة

وعلى سبك حديث الطراز كقوله عليه السلام (وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه الخ)

والجواب عنها : يعرف مما سبق فإنما المتأخرين انما توسعوا في معارفهم بعد العثور على هذه الحكم الجلائل واختاروا الاصطلاحات من قبيل الكيف والأين بعد ما استأنسوا بمبادئها في كلام الإمام عليه السلام لا ان الكلام نسب إلى الإمام بعد ظهور هذه المصطلحات بدليل ان امثال هذه المبادئ مستفيضة في احاديث الرسول (ص) وفي كلام فصحاء العرب الأوائل ولا يعوز المتتبع وافره واي عاقل يستطيع ان يصوغ هذه الجمل المسجعة ثم ينسبها إلى غيره ولو كان احد ينسب إلى الإمام شيئا من المصطلحات بعد تاريخ حدوثها لجاءت في خطبه كلمة الماهية المنحوتة من (ما هي) واللمية المنحوتة من (لم) والأنية المنحوتة من (انه) والهيولى المنحوتة من (هي الأولى) وأمثال ذلك من مصطلحات حكماء الإسلام في حين ان النهج كله خلو عن كل هذا . ونظير هذا قول ابي نواس (كأن صغرى وكبرى من فواقعها) الخ الذي يظن فيه سامعه لأول وهلة انه اخذ عن المنطقيين مصطلحهم في صغرى وكبرى القياس في حين ان الاصطلاح متأخر عنه جدا ولا يستلزم تأخره نفي ذلك الشعر المتقدم ومثل هذا غير عزيز على من طلبه . ومن الغريب استغراب بعضهم في كلام الإمام استنتاجه الجمل متفرعة بعضها من بعض كقوله (ع) (فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه) الخ يحسب ان ترتيب الكلام على شاكلة القياس المؤلف من صغراه وكبراه غير مألوف من العرب في حين ان هذا الحسبان قدح في الأدب العربي من حيث لا يقصد ومعناه ان نظم القياس المعقول قصي عن الذوق العربي وهذا شيء لا نقبله والعرب هم الأقربون إلى القياس المعقول بفطرتهم وكم له نظير

في الكتاب والسنة قال تعالى (فلو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا) وروى البخاري في صحيحه عنه (ص) (فاطمة بضعة مني من اغضبها فقد اغضبني ومن اغضبني فقد اغضب الله) فإذا ورد في افصح الكلام نظم القياس وتفريع الجمل فهل يستغرب من حفظة القرآن ان يتوسعوا في نظم الأقيسة الاقترانية والاستثنائية في اساليب حديثهم ؟ ...

ولقد قطعنا جهيزة كل خطيب بأن المسانيد المشتهرة إذا حوت خطبة للإمام بأسانيد معتبرة فغير جدير الاصغاء إلى أمثال هذه الشبهات الضعيفة ومضى دفع شبهات اخرى في خلال ابحاثنا الماضية ...

والله يحق الحق وهو احكم الحاكمين والحمد لله رب العالمين

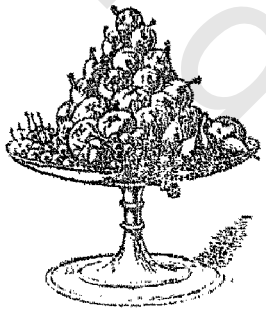

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٩	التسجيع و	التسجيع في الظاء الشموس و
٨	١٩	الماهاباوي	الماهابادي
٩	٤	المفسو	المسمى
٩	٢٥	نيرنات	نيرنك
١٠	١٥	جهانكيز	جهانكير
١٤	١٤	ابن الخطاب	فلان
٢١	٧	النقيب او	النقيب ابو
٢١	٢١	وممن	وذكرنا ممن
٢١	٢١	الرضي هو احمد	الرضي احمد
٢٢	٢٠	عشرة	تسعة
٢٣	٦	الطوسي	الصدوق
٢٤	١٢	يعني الأول	يعني بالأول
٢٦	١٧	علي الحسن	علي بن الحسن
٢٨	٢٣	قبل الشريف	قبل ان يولد الشريف
٢٩	١٢	أو من	واليك
٢٩	١٦	ركبوا	نكبوا
٣٠	١٧	وكل جعله	وكل شيء جعله
٣٠	٢٠	الخ	:
٣٠	٢٣	والمرويات	المرويات
٣١	٣	هذا فقد	هذا الينا فقد
٣٢	٢٢	لا	لأنه

obeikandl.com

فهرس الكتاب

صفحة

٢ المقدمة

٣ نهج البلاغة وواصفوه

٣ شهادة أمين نخله الأديب اللبناني بكلام الإمام

٤ شهادة أحد فضلاء الأرمن

٥ شهادة المرصفي

٦ شهادة الشيخ محمد عبده

٨ مؤلف نهج البلاغة وغرضه الشريف

١٢ سر الشك في نهج البلاغة

١٣ صحة إسناد الشقشقية

١٤ الشقشقية كما في نهج البلاغة

١٥ » » » نسخة الوزير الأبي

١٦ » » » ارشاد المفيد

١٧ شقشقية البرقي عن علل الشرائع

١٩ » الجلودي عن كتاب معاني الأخبار

٢٠ الناقلون للخطبة الشقشقية قبل الرضي

٢٣ الدفاع عن الشقشقية

٢٤ الجامعون لخطب الإمام قبل الرضي

٢٧ مصادر قديمة لما في نهج البلاغة

٢٩ هل في النهج دخيل

٣١ دفع الشبهات عن نهج البلاغة وخاتمة الكتاب

٣٩ جدول الخطأ والصواب

obeikandl.com